

نقشان عربيان جديدان: أيوبي وملوكي من مزار مؤنة

سلطان عبدالله المعاني، حمزة مزلوله المحاسنة
كلية الآداب، قسم الآثار، جامعة مؤنة، الأردن

ملخص

يهدف البحث إلى دراسة نقشين عربيين إسلاميين، ضمن محتويات متحف المزار الجنوبي الملحق بمسجد الصحابي الشهيد جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه. ويمود النقش الأول إلى الفترة الأيوبية، ويؤرخ لسنة ٦٤٧هـ (١٢٤٨م)، بينما يعود النقش الثاني إلى الفترة المملوكية، ويؤرخ لسنة ٧٥٢هـ (١٣٥١م). وهما منقوشان على لوحين رخاميتين بالخطين النسخي والثلث.

اعتمدت منهجية البحث على دراسة النقشين من الناحيتين التاريخية والفنية، فمن الناحية التاريخية تمت دراسة جميع أسماء الشخصيات الواردة في النقشين، حيث أظهرت الدراسة اسمي شخصيتين تاريخيتين تُذكران للمرة الأولى، حيث لم يرد لهما ذكر في المصادر التاريخية وتراجم الأعلام، وهما: الأمير شرف الدين بن عيسى بن خليل بن مقاتل، وسيف الدين الهاروني. وتضمن النقشان عدداً وافراً من القاب الأصول والفروع، حيث تمت دراستها من حيث تطورها التاريخي، ومدلولها الوظيفي.

أما من الناحية الفنية فقد تناولت الدراسة نمطَي الكتابة على اللوحين النسخي والثلث من حيث إبراز السمات الخطية والجمالية الزخرفية لأبجدية هذين الخطين، إضافة إلى تبيان قدرة النقاشين على حسن استخدام الفراغ ضمن الإطار المخصص للكتابة في اللوحين.

ABSTRACT

The paper aims at studying two Islamic-Arabic inscriptions from southern Al-Mazar museum, an annex of the mosque of the tomb of Ja'far bin Abi Talib. The first inscription dates back to the Ayyubid period and dated 647 A.H. (A.D.1248), while the second one goes back to the Mamluk period and date to 752 A.H. (A.D. 1351). Both inscriptions are inscribed on two marble tablets in an-Naskhi and ath-Thuluth.

The methodology of the research used both historical and technical approaches. within the historical framework, all the historical proper names found in the two inscriptions were studied. The study shows two historical names mentioned for the first time as no previous trace can be found for them in the historical references and biographies. The two names are Al-Amir Sharaf ad-Diyn ibn Aysa ibn Khalil ibn Muqatil and Sayf ad-Diyn al-Haruny. The two inscriptions also contained a number of basic and branch titles. These were studied from the point of historical developmental and functional points.

Within the technical approach, the study analyzed the orthographical patterns of the two inscriptions: ie, an-Naskhi and ath-Thuluth. The orthographical characteristics and aesthetic features of the alphabet of these two patterns are pinpointed. In addition, the inscribers' ability in using every possible space on the marble tablet is very noticeable.

المقدمة

لم تحظ النقوش العربية الإسلامية المنبثة في مختلف الأماكن الأثرية في الأردن، وفي متاحفها، من الدراسة والبحث والتحليل ما يكشف قيمتها الأدبية والتاريخية (١)، وتحاول هذه الدراسة التأكيد على هذه الجوانب، ما بين القرنين الأول الهجري والتاسع الهجري، فهي حلقات متصلة في تطور الخط العربي من جهة، وحلقة مهمة من حلقات تتبع تطور الألقاب الإسلامية من جهة أخرى.

على مقربة من المكان الذي دارت فيه رحى غزوة مؤنة، أقيمت أضرحة الصحابة الشهداء، جعفر ابن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وعبدالله بن رواحة رضي الله عنهم، وقد أقيم في بلدة المزار الجنوبي مسجد ضم ضريح جعفر الطيار (انظر الشكل رقم ١-١)، وعملت وزارة الأوقاف الأردنية على إنشاء متحف صغير مرفق بالمسجد، كان من بين محتوياته هذان النقشان الأيوبي والملوكي.

والنقشان تذكاريان تأسيسيان لعمائر دينية، يعودان إلى القرنين السابع والثامن الهجريين، مما غلب الطابع الديني والتاريخي عليهما، فبعد البسملة عرّف النقشان بصاحبي الأثر، وقد سبق الاسم وتلاه ألقاب الأصول والفروع التي عرف بها الوالي، ولم يخل النقشان من الدعاء بالعز والنصرة للدولة ونوابهما وطلب المغفرة لهم ولوالديهم، وذُيّل النقشان بتاريخ البناء أو تاريخ تجديده.

النقش الأول:

وُجِدَ هذا النقش سنة ١٩٧٣م في مقام أبي سليمان بالشوبك، والتعريف بأبي سليمان لا يستند إلى مرجعية علمية، إذ لم تُسَعَف كتب تراجم الأعلام في التعريف به، ويقال إن اسمه أبو سليمان الداراني صديق الإمام الغزالي وتلميذه، ويدعوه بعضهم أبا سليمان الديراني (٢)، وقد تم الكشف عن النقش أثناء الحفريات التي أجراها قسم الآثار الإسلامية في وزارة الأوقاف في الموقع. وقد نُقِدَ بالحفر البارز على لوحة رخامية بيضاء تميل إلى الصفرة، مستطيلة الشكل تقريباً طول ضلعها ثلاثة وستين سنتماً، وعرضها سبعة وثلاثين سنتماً ونصف تقريباً، وبسماكة خمسة عشر سنتماً.

نص النقش:

يمكن قراءة النقش كالتالي (انظر الشكل رقم ٢ والصورة رقم ١):

١- بسم الله الرحمن الرحيم هذ [أ] ما عمر في أيام مولانا

٢- السلطان الأعظم العالم العادل في الملك الصالح

٣- نجم الدين أيوب خلد الله ملكه تطوع بعمارته العبد

٤- الفقير إلى رحمة الله تعالى الأمير شرف الدين

٥- عيسى ابن خليل ابن مقاتل غفر الله له ولوالديه

٦- وذلك في شهور سنة ست وأربعين وستماية.

خلفية تاريخية:

يحتوي النقش على اسمي شخصيتين تاريخيتين، هما الملك الأيوبي نجم الدين أيوب، والأمير شرف الدين عيسى.

والملك الصالح نجم الدين أيوب ابن السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شادي الأيوبي (٣) صاحب دمشق في ذي الحجة ٦٣٧ للهجرة (١٢٣٩ م)، وسلطان الديار المصرية ما بين ٦٤٧ للهجرة (١٢٤٩ م) وبين سنة ٦٤٨ للهجرة (١٢٥٠ م)، اضطلعت زوجته شجر الدر بالحكم بعد وفاته ونودي بها ملكة في ١٠ صفر، وماتت سنة ٦٥٥هـ (١٢٥٧ م)، وقد نقشت هذه اللوحة قبل وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب بعامين، وذلك سنة ٦٤٨هـ (١٢٥٠ م).

لقد رأى الناصر محمد، بعد أن انتفض أنصار الملك الصالح أيوب على ملكهم، تسييره إلى قلعة الكرك، وقد خاطبه قائلاً: 'إنما فعلت ذلك احتياطاً لئلا يصل إليك مكروه من أخيك ولا من عمك...'. (٤). وقد كان الصالح نجم الدين أيوب مولعاً بالعمارة، وقد قال فيه المقرئ: 'عمر بمصر ما لم يُعمره أحد من ملوك بني أيوب' (٥)، فهو باني قلعة الجزيرة سنة ٦٣٨هـ (١٢٤٠ م) (٦)، وبنى قصوراً على النيل بلغت غاية الحسن (٧)، وبنى مدارس عرفت بالمدارس الصالحية حوالي ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ م) (٨).

لقد كان الصالح أيوب ذا شخصية قوية، قاوم الفتن والصراعات الداخلية والخارجية بحزم، وقد خُلِعَ وسُجِنَ أكثر من مرة (٩).

أما الأمير شرف الدين عيسى بن خليل بن مقاتل الوارد في النقش فهو غير المعظم عيسى، لكن المصادر التاريخية التي تتناول هذه الحقبة لم تُشر إلى اسم هذا الأمير ولم تُعرف به، إذ يرد اسمه للمرة الأولى في هذا النقش.

الألقاب الواردة في النقش:

يحتوي النقش على سلسلة من الألقاب الأصول، والألقاب الفروع المفردة، والألقاب المركبة،

مثل: "مولانا"، والولي والمولى كل من ولي أمراً أو قام به، وهو بمعنى الرب والمالك والسيد والخليف والصاحب، ومنه المولوي المنسوب إلى المولى، وهو الزاهد أو العالم الكبير أيضاً.

استعمل اللقب 'مولى' أو معرفاً 'المولى' منذ القرن الثاني الهجري بمعان مختلفة كواحد من ألقاب الخطاب الفخرية، بيد أنه أطلق في القرن السادس الهجري، ثم في عصر المماليك على السلطان (١٠)، غير أن كلمة مولى مضافة إلى ضمير جمع المتكلم (مولانا) بدأت تستخدم لقباً للخلفاء العباسيين (١١)، وبعد صلاح الدين أصبح اللقب أهم ألقاب السلاطين، فأطلق على العادل والناصر والظاهر وقايتباي وقانصوه الغوري (١٢).

كما ورد لقب 'السلطان' وهو من الألقاب الأصول التي تفتتح بها سلسلة الألقاب، واللفظة سريانية الأصل من (سحلول) وتعني في العربية « يأخذ السلطة » وجاءت المفردة في القرآن الكريم بمعنى الحجة والبرهان. استخدم بداية لقباً فخرياً عند البرامكة زمن هارون الرشيد (١٣)، ولم يكن عند الفاطميين لقباً رسمياً، حيث لم يظهر على عملتهم أو مكاتباتهم الرسمية (١٤)، ثم استخدم لقباً عاماً للدلالة على الحاكم والوالي، وهو لقب للولاة المستقلين، وبدأ منذ عهد السلاجقة يطلق على الحاكم الأعظم (١٥)، وكثيراً ما كان يلحق لقب السلطان ببعض الصفات، مثل الأعظم كما يرد في النقش.

وكان لقب 'السلطان الأعظم' يطلق على سلاطين بعض الأسر، مثل الغزنوية، حيث أطلق على محمود الغزنوي، وذلك على نصب تذكارى مؤرخ بعام ٤٢١هـ (١٠٣٠م)، وتوالى استخدام اللقب حتى عهد المماليك، فقد أطلق على قلاوون في نص إنشائي يعود إلى ٦٨٤هـ (١٢٨٥م) (١٦)، تلاه لقب 'العالم'، وهو من الألقاب الفروع والمفردة، لم يقتصر استخدامه على العلماء، بل على رجال الحرب والإدارة أيضاً (١٧)، ويرد اللقب عادة في ألقاب الملوك بالعادل مجرداً من بقاء النسبة، كما يظهر في النقش، ولقب 'العادل' لغةً خلاف الجائر، وهو من أعلى صفات وألقاب السلاطين والملوك، وإذا ألحقت به بقاء النسبة كان لقباً لأكابر العسكريين والنواب (١٨)، وتبع هذا اللقب 'الصالح' وأول من لُقّب به من الملوك طلائع بن زريك في عصر الفائز (١٩)، وفي عهد بني أيوب لُقّب به الصالح إسماعيل بن نور الدين والملك الصالح أيوب بن الكامل (٢٠)، وقد كان يُطلق من قبل على أهل الصلاح من رجال العلم والدين وغيرهم (٢١).

وانتقل كاتب النص بعدها إلى الألقاب المركبة، مثل: 'نجم الدين' وهو من الألقاب المضافة التي تلي الألقاب المفردة، أطلق على سلاطين الأيوبيين والمماليك، وكثر ورودُه نعتاً خاصاً للملك الصالح أيوب (٢٢)، ولقب 'العبد الفقير إلى رحمة الله' والعبد ضد الحر، وهو من ألقاب التواضع والتذلل

إلى الله تعالى، وقد كان الملك العادل نور الدين أول من بالغ في استخدام هذه الأدعية لورعه وتقواه، ومن الألقاب الأصول أيضاً "الأمير" ومعنى الكلمة لغوياً «ذو الأمر والسلطة»، وهو من الوظائف والرتب أو من الألقاب الفخرية، استخدم منذ الفترة الإسلامية المبكرة، ففي عصر الرسول صلى الله عليه وسلم استخدم لقباً لصاحب الحكم أو رئاسة الجيوش أو ولاية البلدان والأمصار الإسلامية، فقال الرسول الكريم مخاطباً عبدالرحمن بن سمرة: "يا عبدالرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها"، والإمارة في الإسلام نوعان: خاصة وعامة، فأما الإمارة الخاصة فهي أن يقتصر فيها إشراف الأمير على تدبير الجيش وسياسة الشعب وحماية الولاية في حدود معينة فقد لا يكون له حق الإشراف على القضاة أو المال أو إمارة الصلاة" (٢٣)، أما الإمارة العامة فنوعان: إمارة استكفاء وتشتمل على عمل محدود، وإمارة استيلاء وتنعقد عن اضطرار، حيث يستولي الأمير على البلاد بالقوة ويكون مستبداً بالسياسة والتدبير (٢٤)، واختتمت هذه الألقاب بلقب "شرف الدين" والشرف العلو والرفعة، جاءت مع الألقاب المركبة لأكابر التجار ورجال الدولة والكتاب وصارت من الألقاب الملكية (٢٥)، أما لقب شرف الدين مضافاً فبدأ أول ما بدأ على النقود السلجوقية (٢٦).

التحليل الفني:

كُتِبَ النقش بخط نسخي لَين بارز ومُعَرَض، ويُعدُّ القرنان السابع والثامن الهجريين فترة حلول الخط النسخي ثم الثلث محل الخط الكوفي، وقد استُخدم الخط النسخي كخط رسمي على المصادر المكتوبة والمنقوشة (٢٧)، وقد اكتمل هذا الطراز من الخط على يدي ابن مقلة، وكانت بداياته حوالياً سنة ٤٠ هـ (٦٦٠ م)، وقد سُمي بهذا الاسم لاستخدام النساخين له في رسم المصاحف والمؤلفات والكتب الرسمية، وذلك لسهولة وسرعة الكتابة به (٢٨)، ويتكون النقش من ستة أسطر (انظر لوحة الأحرف في الشكل رقم ٤) غير منفصلة باشرطة عرضية، بيد إن المسافات بين الأسطر تكاد تكون متساوية، ساعد على ذلك تساوي أحجام الحروف، وانسجام أغلب أشكالها، وتداخلها بحيث لم تُترك مسافات بين الكلمات ألبتة. وقد أظهر كاتب النقش مهارة فائقة وقدرة عالية على إتقان هذه النمط الكتابي، مما جعل النقش سهل القراءة واضح المعالم، ومن أبرز الخصائص الكتابية إرسال بعض الحروف وإسبالها، مثل: حرف السين في (بسم)، وأظهر النقش الحروف النواجز في عدد من الكلمات مثل: بسم، عيسى، شهور، وسنة، بينما غابت نواجز السين والشين في الكلمات مثل السلطان، شرف الدين، وستماية.

ورغم نضوج فكرة النقش على الحجر في هذه الفترة فإن النص لم يخلُ من تعدد أشكال بعض




الحروف، فالحرفان الألف المقصورة في اسم (عيسى) والياء في حرف الجر (في) في السطر الثاني أبرزاً ظاهرة الإرجاع، بينما رُسمًا بشكلهما اللين العادي من غير استلقاء فيما عدا ذلك،

ويظهر التفطيح على بعض حروف النقش، كالباء والهاء واللام، في مثل (بسم، وهذا)، وتلاحظ عملية التزوية في طوابع الحروف في مثل الألف واللام والطاء في معظم كلمات النقش. ولكن ما شاب النقش ورود بعض الأخطاء الإملائية، والتي غالباً ما تمحورت حول حرف الألف، وذلك في السطر الأول في اسم الإشارة (هذا)، إذ اغفل الكاتب حرف الألف، بينما بُثِّت في كلمة (ابن) رغم ورودها بين اسمي علم في/ عيسى (ابن) خليل (ابن) مقاتل/ في السطر الخامس، وأعقب ذلك في السطر السادس حيث كرر نفس الخطأ في تثبيت حرف الألف في اسم الإشارة (ذاك).

ورغم ظهور النقط المبكر في النصف الأول من القرن الأول الهجري (٢٩) فقد جاءت بعض حروف النقش غير منقوطة، مثل التاء في كلمة (بعمارته)، والباء في كلمة (العبد)، وغياب تنقيط كلمة (خليل)، وتاء (مقاتل) وغير ذلك، ويلاحظ أن الهمزة في كلمات النقشين خصوصاً، ونقوش هذه الفترة عموماً تُغيب أو تُحول إلى ياء للتخفيف مع وجوب وجودها لغوياً (٣٠)، في حين أعجمت الكثرة الكاثرة من حروف النقش.

أما عن الزخرفة الكتابية، والتي ترجع إلى القرن الهجري الثاني، والتي انتقلت من مصر إلى بقية أصقاع العالم الإسلامي (٣١)، فلم تظهر على هذا النقش إلا في مواضع قليلة وبشكل وجل، وهي عبارة عن زخارف نباتية، مال النقاش فيها إلى التجريد، وقد جاءت هذه الزخارف فوق بعض الأحرف، وكان الفنان المسلم يهدف من وراء هذه الزخارف، التي تغطي مساحات الفراغات في النقوش، سواء في إطارات اللوحات، أو فوق الأحرف، أو حين تتصل برؤوس الحروف من البداية أو النهاية، إلى تحقيق هدفين هما : الأول جمالي لتخفيف حدة الحروف المنكسرة، والثاني كراهية الفنان المسلم الإبقاء على الفراغات في مساحة لوحاته (٣٢).

وتتكون الزخارف النباتية في النقوش العربية الإسلامية عادة من الرؤوس المثلثة، وأوراق، وبراعم، وبعض الثمار، مكوّنة رؤوساً وفروعاً وفصوصاً وروابط متخذة أشكال الانحناء والتقوس، مع البعد عن التزوية أو استقامة الخطوط (٣٣).

من الزخارف الظاهرة في النقش ما ظهر على كلمة (بسم) التي يراعي النقاشون زخرفتها في أغلب النقوش، فقد علا السين شكلان هما () و () . أما السطر الثاني فقد زُخِف حرف العين في لقب العالم بالشكل () ، أما اللقب التالي له، وهو لقب العادل، فقد

زخرفت عينة بالشكل (د) ، وفي نفس السطر، زُين حرف الصاد في اللقب الصالح بالشكل الزخرفي (♥) . أما في السطر الثالث فقد أكد الكاتب اهتمامه بالأشكال الزخرفية التي تشغل الفراغ الذي يعلو حرف العين، فنجد فوق عين كلمة العبد الشكل المتكرر التالي: (P) .

النقش الثاني:

نقش تذكاري بنائي، مكون من خمسة أسطر منقوش بخط بارز على لوحة رخامية مكسورة، أعيد ترميمها، وهي بقياس خمسة وخمسين سنتماً، ويبلغ عرضها اثنين وأربعين سنتماً، وبسماكة خمسة سنتمات.

نص النقش:

ويقرأ النقش كما يلي (انظر الشكل رقم ٣ والصورة رقم ٢):

- ١- بسم الله الرحمن الرحيم [هذ]ا ما جدد في ايام مولانا السلطان المـ[لك]
- ٢- الملك الصالح صلاح الدنيا وا [لد]ين صالح ابن مولانا السلطان الملك.
- ٣- الناصر محمد وذلك في نيابة المقر العالي السيفي؟ نائباً
- ٤- السلطنة الشريفة بالكرك والشويك ا[لمحر]ر وستين أعز الله أنصاره
- ٥- شيد الفقير إلى الله تعالى سيف [ال]دين الهاروني سنة اثنين وخمسين وسبعمائة .

خلفية تاريخية :

عُثر على هذا النقش في مسجد جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، وجاء فيه أن الذي أمر بتجديد بناء المسجد المقيم على ضريح الصحابي جعفر الطيار بالمزار، هو السلطان الملك الصالح بن الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٥٢ هـ (١٣٥١م)، حكم من ٢٨ جمادى الآخرة سنة ٧٥٢ هـ (١٣٥١م) إلى ٢ شوال سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤م) (٣٤) حيث خُلع وسُجن بالقلعة إلى أن توفي في ذي الحجة سنة ٧٦١ هـ (١٣٥٩م) (٣٥) ، ويجيء في النقش اسم والده السلطان الناصر محمد بن قلاوون (٣٦) الذي تولى السلطنة ثلاث مرّات : الأولى من ١٤ محرم سنة ٦٩٣ هـ (١٢٩٣م) إلى ١١ محرم ٦٩٤ هـ (١٢٩٤م)، وكان غراً صغيراً خلعة الملك العادل كتبغا (٣٧)، والثانية من ١٤ جمادى الأولى ٦٩٨ هـ (١٢٩٨م) إلى ٢٣ شوال سنة ٧٠٨ هـ (١٣٠٨م) (٣٨)، أما الثالثة فقد كانت عند دخوله القاهرة في مُستهل شوال ٧٠٩ هـ (١٣٠٩م) إلى ١١ من ذي الحجة سنة ٧٤١ هـ

(١٣٤٠م) (٣٩) ، وقد كان للناصر محمد دور هام في بناء، أو إعادة بناء، كثير من المنشآت الدينية والمدينة بالكرك والشوبك، وذلك بعد الزلزال المدمر الذي وقع سنة ٧٠٢هـ (١٣٠٢م)، فقد قام مثلاً بتجديد ضريح النبي هارون في البتراء، ومسجد مؤتة الذي يضم رفاة شهداء مؤتة.

أما الشخصيتان الأخريتان اللتان تردان في النقش فهما المقر العالي السيفي نائب السلطنة في الكرك والشوبك، والمُشيدُ، ولكننا نلاحظ أن تشويهاً متعمداً قد طرأ على الاسمين مما يتعذر معرفتهما، وكل ما نعرفه أن أحدهما هو نائب السلطنة بالكرك والشوبك أيام السلطان الصالح ابن الناصر محمد سنة ٧٥٢هـ (١٣٥١م)، ولعل اسم هذا النائب هو أرلان (٤٠) .

تبع الكرك في العهد المملوكي أربعة أعمال هي : عمل بر الشوبك وعمل الشوبك وعمل زغر وعمل معان (٤١)، وبدأت نيابة السلطنة بالكرك والشوبك في العهد المملوكي بعد اعتلاء الظاهر بيبرس عرش السلطنة في مصر بقليل، حيث توجه إلى الشوبك وشيد حصنها، وجعل نائباً عليها (٤٢). لقد ساند أهل الكرك الناصر محمد في استعادة حكمه للمرة الثالثة مما دفعه إلى أن أمر بهادر البدري نائبه على الكرك والشوبك التوجه إلى الكرك وبناء مسجد على ضريح جعفر الطيار (٤٣).

في السطر الأول من النقش يوحي الفعل جدد بان هنالك بناءً قديماً قد تم تجديده، فجدد في اللغة هو جعل الشيء القديم جديداً، ولا يعني ذلك تغييره كلياً (٤٤)، وهذه إشارة إلى عملية التجديد في البناء التي تمت لمسجد ضريح الشهيد جعفر ابن ابي طالب في زمن السلطان الصالح بن الناصر محمد بن قلاوون وذلك في سنة ٧٥٣هـ (١٣٥٢م).

وقد كانت أضرحة الصحابة موضع عناية الخلافة الإسلامية منذ القرن الرابع الهجري (٤٥)، وقد اهتم بها الحكام الفاطميون في بلاد الشام، ثم الأيوبيون (٤٦)، وفي العهد المملوكي جدد البناء ووسّع زمن السلطان الظاهر بيبرس الذي وقف عليه وقفاً (٤٧)، وقد تم إنشاء ضريح الصحابي جعفر ابن أبي طالب من جديد على يد نائب السلطنة بالكرك والشوبك بهادر البدري الملكي الناصري سنة ٧٦٤هـ (١٣٦٢م). وتلته مرات أخرى من بينها ما تم سنة ٧٥٣هـ (١٣٥٢م) كما يظهر هذا النقش.

الألقاب الواردة في النقش:

'الملك'، لم يظهر لقب ملك في تاريخ الإسلام إلا بعد أن أخذت بعض الأقاليم الإسلامية في الدولة العباسية تستقل عن مقر الخلافة بغداد، وبعدما أخذ ولايتها يشكلون إمارات مستقلة مثل إمارة السامانيين وإمارة البويهيين (٤٨)، فعند السامانيين أطلق هذا اللقب على الملك الموفق، وعلى عبدالله

بن نوح من بخارى، والملك المظفر علي منصور بن نوح من بخارى أيضاً، والملك العادل على خوارزم شاه أبي العباس مأمون بن مأمون من جرجانية، ثم أطلق لقب الملك المؤيد على محمود الغزنوي في نص جنائزي يعود إلى سنة ٤٢١هـ (١٠٣٠م) في غزنة، ومن البويهيين أطلق على عضد الدولة أبي شجاع فناخسرو (٤٩). أما إذا عدنا إلى المصادر النقشية العربية قبل الإسلام فإننا نجد أن كلمة ملك قد أطلقت على كرب ايل وتر آخر مكربي سبأ وأول ملوكهم، وذلك في النقش المعروف بنقش صرواح أو نقش النصر (٥٠). أما في النقوش العربية المبكرة فقد وردت لفظة ملك لتدلل صراحة على وجود هوية عربية، وذلك في نقش النمارة الذي يعود إلى سنة ٣٢٨ ميلادية، والذي يخلد الملك امرئ القيس بن عمرو، ويعتقد أنه من مؤسسي حكم المناذرة في الحيرة.

ولقب ملك من الألقاب الأصول التي توالى ظهورها في المصادر النقشية والنقدية ويطلق على الرئيس الأعلى للسلطة الزمنية، غير أنه أطلق في العصر الفاطمي على الأمراء والوزراء أيضاً.

وتوالى استخدامه في عهد الأيوبيين والمماليك مقترناً بلقب سلطان (٥١). ومن الألقاب في النقش وهو لقب 'الملك الصالح'، لقب عُرف به الملك ابن قلاوون. ولقب 'صلاح الدنيا والدين'، وسبقت كلمة الدنيا الدين في اللقب 'صلاح الدنيا والدين' بين السلاطين، بعد أن شاع بين العامة التلقب بصلاح الدين. وكان اللقب المركب متبوعاً بلقب الناصر، من الألقاب المفردة التي تشعب وهو لقب الملك أو السلطان، ويُقصد به الناصر لدين الله، وقد تلقب به الحسن بن علي بن الحسن بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب سنة ٣٠١ هـ (٩١٣م)، وفي العهد الفاطمي لقب به صلاح الدين حين كان وزيراً للعاقد، فصار يُنعت بالملك الناصر (٥٢). وتلقب به من الأيوبيين الملك المسعود صلاح الدين يوسف بن يوسف بن الكامل بن محمد العادل أبي بكر بن أيوب (٥٣)، ومن المماليك تلقب به صالح بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، وهو المقصود في هذا النقش.

من الألقاب الواردة في النقش أيضاً لقب 'المقر العالي'، والمقر لغة موضع الاستقرار، وهو من ألقاب الكناية المكانية استُعمل للإشارة إلى صاحب المكان تكريماً له وتعظيماً عن التفوه باسمه (٥٤)، وقد كان من ألقاب الأصول عند المماليك، يليه منزلة لقب المقام. يلحق بلقب المقر نعوتات مثل العالي والأشرف والشريف والكريم، ويُعدُّ اللقب من أرفع الألقاب الأصول، وظل يختص بالسلطان حتى القرن السابع الهجري، والمقر العالي من ألقاب المنصور قلاوون سنة ٦٩٧هـ (١٢٧٩م)، ثم انخفض مركز اللقب ليُستخدم لأكابر الأمراء والقادة العسكريين في القرنين الثامن والتاسع الهجريين (٥٥)، تاركاً للسلاطين لقب مقام.

ويمكن من خلال التدرج الزمني للقب أن نلاحظ أن المقر العالي كان غالباً في مقدمة سلسلة الألقاب، ثم أخذ لقب الأشرف يتصدر هذه الألقاب في منتصف القرن الثامن الهجري، والكريم يأتي قبل العالي وبعد الأشرف، ولم يرد نعت الشريف إلا في مرات قليلة، منها وروده في نقش بمدرسة تتر يعود إلى سنة ٧٦١هـ (١٣٥٩م) (٥٦)، وهو من ألقاب الصلاح، ويقصد به المجد في العمل والعبادة من اصحاب السيف والقلم (٥٧). أما لقب السيفي فيختلف مدلوله في عصر المماليك حسب موضعه بين الألقاب، فلقب "السيفي" بعد الاسم يدل على أن اللقب تابع لاسم آخر يسمى "سيف الدين" على أية صورة من التبعية، وإذا جاء اللقب قبل الاسم دل على أن اسم الملقب نفسه "سيف الدين" (٥٨)، ومثال ذلك النقش التالي:

"أمر بعمارة هذا المنبر المبارك . . . المقر العالي الأميري الكبير السيفي سيف الدين مقدم الجيوش بكتمر الجوكندار المنصوري السيفي أمير جندار الناصري وذلك بتاريخ شهر جمادي الآخرة سنة تسع وتسعين وستمائة رحم الله من كان السبب" (٥٩).

ونلاحظ أن لقب السيفي جاء في النقش مرتين، في الأولى يُشير إلى صاحب النص سيف الدين، وفي الثانية ورد بعد وظيفة صاحب اللقب ليدل على أن بكتمر كان يلي وظيفة جوكندار في عهد السلطان المنصور سيف الدين، فاسم السلطان الذي كان بكتمر يلي هذه الوظيفة في عهده يدعى سيف الدين (٦٠).

ودخل لفظ سيف في كثير من الألقاب المركبة التي تحمل معاني القوة، مثل سيف الدين، وسيف الإسلام، وسيف الحق، وسيف الدولة (٦١). وسيف الدين أشهر هذه الألقاب المركبة في عهد المماليك، وقيل أنه يختص بالسلطين العسكريين سواء أكانوا من الترك أو المولدين، وأطلق على أكابر الموظفين العسكريين، وسُموا جميعهم بسيف الدين (٦٢). وقد كان اللقب سيف الدين أو ما أضيف إلى الدين من ألقاب التعريف أو النسبة إليه "كالسيفي" يفصل بين الألقاب المفردة والألقاب المركبة (٦٣).

إن ورود النسبة في اللقب "السيفي" هي إشارة إلى رفعة الرتبة التي يتبوأها صاحب اللقب، وذلك إما بانتسابه إلى السلطان أو بانتسابه إلى المنزلة والرتبة والوظيفة التي يحتلها. أما اللقب التالي فهو للمكان، وهو لقب نائب السلطنة الشريفة . المحروستين، ونائب صيغة اسم فاعل من ناب نوب بمعنى قام مقام، فالنائب هو من ينوب عن شخص آخر أعلى منه رتبة سواء في أعماله كلها أو في جزء منها (٦٤)، وقد تضاف كلمة نائب إلى الوظيفة أو العمل المنوط بالنائب، مثل نائب السلطان في أعمال المال والضرائب، أو أن يكون النائب والياً لبعض الأقاليم والمدن أو القلاع أو

السلطنة وذلك ابتداءً من عهد الدولة الفاطمية (٦٥)،^١ وقد استقرت وظيفة النائب في عصر الماليك، وتحددت درجاتها واختصاصاتها وألقابها، ومراسمها وسائر متعلقاتها، شأنها شأن غيرها من الوظائف في ذلك العصر^٢ (٦٦). لقد كثر ورود وظيفة نائب السلطنة في النقوش العربية، وهي على هذه الصيغة اسم تفخيم للنائب، بدأت في عهد السلاجقة وانتقلت من بعدهم إلى من تلاهم من أتابكة وأيوبيين ثم أحياءها الماليك في عهد السلطان بيبرس، وقد عُرِفَت هذه الوظيفة باسم نائب السلطنة أو السلطنة الشريفة أو المعظمة بكذا (٦٧). أما لقب نائب السلطنة (الشريفة) بالكرك والشوبك المحروستين فقد ظهر في عدد من النقوش الإسلامية. ونائب الكرك المحروس من نواب السلطنة بالممالك الشامية، ونيابة الكرك من النيابات الكبار، تطورت عن المملكة الأيوبية، وكان بها أربع ولايات منها الشوبك، وبها سمي نائب الكرك كذلك، فظهر على النقوش نيابة السلطنة بالكرك المحروس أو بالكرك والشوبك المحروستين (٦٨). أما لقب المحروسة فمن القاب النساء، واستخدم وصفاً لبعض المدن مثل الكرك المحروسة، وجاء على صيغة التثنية المحروستين أيضاً (٦٩).

التحليل الفني:

إن أبجدية النقش ملتزمة في كل أشكال الحروف بقواعد الخط الثلث. كما توضح الدراسة الفنية للنقش وجود السمات التجويدية الخطية (انظر لوحة الأحرف في الشكل رقم ٥)، وبروز العناية في طريقة إخراج اللوحة من حيث استقامة السطور، ووجود التسطيع الأفقي بين الأسطر، وتساوي وانسجام أحجام الحروف وتشابه تعريضها، غير أن النقاش قد أخطأ في نهاية السطر الأول في تحديد المساحة المخصصة لكلمة الملك، فكتب الحروف الأربعة الأولى فقط، ثم أعاد كتابة الكلمة في بداية السطر الثاني، وتظهر بعض السمات التجميلية والكتابية الأخرى من تشكيل وتزهير عكست بعض الكلمات، لملء فراغات ما بين السطور في اللوحة، وتظهر على كلمة 'الرحيم' و 'الصالح' الثانية زخارف تعلو حرفي الحاء (ح) والصاد (ص) ، وقد كانت العناصر الزخرفية غير متصلة بالحروف في هذا النقش (انظر الشكل ٣ والصورة رقم ٢).

ومن السمات الكتابية في النقش ظهور خاصية التجليف، وذلك في بدء الحرف بسن القلم، مثل رأس الحاء في الكلمات مثل: (الرحمن، الرحيم)، وتبدو ظاهرة التحريف في أهداب بعض الحروف كما في ذنب الألف الممدودة في مثل: (الرحمن، الرحيم، إيام، السلطان)، وبرزت في أغلب كلمات النقش الحروف النواجز. ومن سمات الخط النسخي التي تتجلى في هذا النقش الإدغام في حرفي الراء والميم المنتهية في عدد من الكلمات مثل: (بسم، الرحمن، الرحيم، الناصر، والشريفة) حيث تمتد نهايات هذه الأحرف إلى الأسفل بشكل الخطاف. وتظهر خاصية الاستمداد في عرّاقات الحاء (مثل الصالح، صلاح)، والياء الراجعة في كلمة السيفي.

الحواشي والاحالات

- ١- من الدراسات القليلة في هذا الموضوع: صفوان التل، "نقوش إسلامية من مزار مؤتة"، دراسات، الجامعة الأردنية، (١٩٨٩م)، عدد ١١ ص ٤٧-٦٧.
- Abd il-jalil 'A., "New Ayyubid Inscription from al-Karak, Jordan", Zeitschrift des Deutschen Palaestina-Vereins, (1989), Vol.105, 166-172.
- ٢- لم تُسَعَف المصادر التاريخية وتراجم الرجال في تدعيم الرأي الشعبي حول هذه المعلومة . ولذا فإننا نثبتها هنا بتحفظ.
- ٣- أبو المحاسن، جمال الدين يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الأجزاء الستة الأولى، دار الكتب المصرية، القاهرة، بلا، ص ٢٨٢.
- ٤- جمال الدين محمد بن سالم بن واصل (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، الجزء الخامس، تحقيق جمال الدين الشيال، دار القلم، القاهرة، (١٩٧٢م)، ص ٢٤١.
- ٥- تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقرئ (ت ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م)، السلوك في معرفة دول الملوك، الجزء الأول، تحقيق محمد مصطفى زيادة، دار الكتب، القاهرة، (١٩٣٤م)، ص ٣٤١.
- ٦- شمس الدين أبو عبد الله الذهبي (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، دول الإسلام، الجزء الثاني، تحقيق: فهم شلتوت، محمد مصطفى، القاهرة (١٩٧٤م)، ص ١٣٤.
- ٧- المقرئ، السلوك، ج ١ ص ٣٤١.
- ٨- علي مبارك، الخطط التوفيقية، القاهرة (١٩٨٠م)، ج ١ ص ٧٧. محمد عبد العزيز مرزوق، الفن الإسلامي في العصر الأيوبي، سلسلة ثقافية ٣٠ (بلا)، ص ٨٠-٨٥.
- ٩- أمينة البيطار، تاريخ العصر الأيوبي، دمشق، (١٩٨١م)، ص ١٩٢. يوسف درويش غوانمة، "أضواء جديدة على الملك الناصر داود وتحرير بيت المقدس"، دراسات تاريخية، جامعة دمشق، عدد (١٩٨١م)، ص ١٠٢-١٠٣.
- ١٠- حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة، (١٩٧٨م)، ص ٥١٧.
- ١١- الباشا، الألقاب، ص ٥١٩.
- ١٢- الباشا، الألقاب، ص ٥٢٠-٥٢١.
- ١٣- أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله بن أبي اليمن القلقشندي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٤ جزءاً، القاهرة، (١٩٦٣م)، ج ٥ ص ٤٤٨.
- ١٤- عبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين الماليك ورسومهم في مصر، مكتبة الانجلو، مصر، (١٩٧٩)، ص ٢٨.

- ١٥- المقريري، السلوك، ص ٣٤-٣٩.
- ١٦- الباشا، الألقاب، ص ٣٣٠.
- ١٧- الباشا، الألقاب، ص ٣٩٠.
- ١٨- الباشا، الألقاب، ص ٣٨٨.
- ١٩- المقريري، السلوك، ص ٣٥٧.
- ٢٠- الباشا، الألقاب، ص ٣٧٧.
- ٢١- الباشا، الألقاب، ص ٣٧٧.
- ٢٢- الباشا، الألقاب، ص ٥٣١.
- ٢٣- حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ٣ اجزاء، دار النهضة العربية، القاهرة، (١٩٦٥م)، ج ١ ص ١١٧.
- ٢٤- أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت. ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، الأحكام السلطانية والولاية الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٨٢م)، ص ٣٠-٣٤.
- ٢٥- القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٦، ص ٥٦.
- ٢٦- الباشا، الألقاب، ص ٣٥٧.
- ٢٧- مایسة داود، الكتابات العربية على الآثار الإسلامية، ط ١، مكتبة النهضة العربية، القاهرة (١٩٩١م)، ص ١٦٠. مصطفى سعد، الخطوط العربية والزخارف الإسلامية، ط ٢، مدرسة الخطوط العربية بطنطا، (بلا).
- ٢٨- محمود عباس حمودة، دراسات في علم الكتابة العربية، مكتبة غريب، القاهرة، (١٩٨١م)، ص ٦٩.
- ٢٩- القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ١٥٦-١٥٨.
- ٣٠- مصطفى الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، مكتبة مصطفى الحلبي، مصر (١٩٦٥م)، ص ١٤٥.
- ٣١- زكي محمد حسن، فنون الإسلام، كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، (١٩٤٨م)، ص ٢٣٧-٢٣٨.
- ٣٢- نجاح أبو ساره، النقوش العربية الإسلامية في خليل الرحمن، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، (١٩٩٣م)، ص ٢٧١-٢٩٥.
- ٣٣- محمد غيطاس، "الفنون الزخرفية الإسلامية بين الصناعة والفن"، مجلة كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط، عدد ١٤، (١٩٩٤م)، ٢٥٩-٢٦٠. فوزي سالم عفيفي، الزخرفة العربية

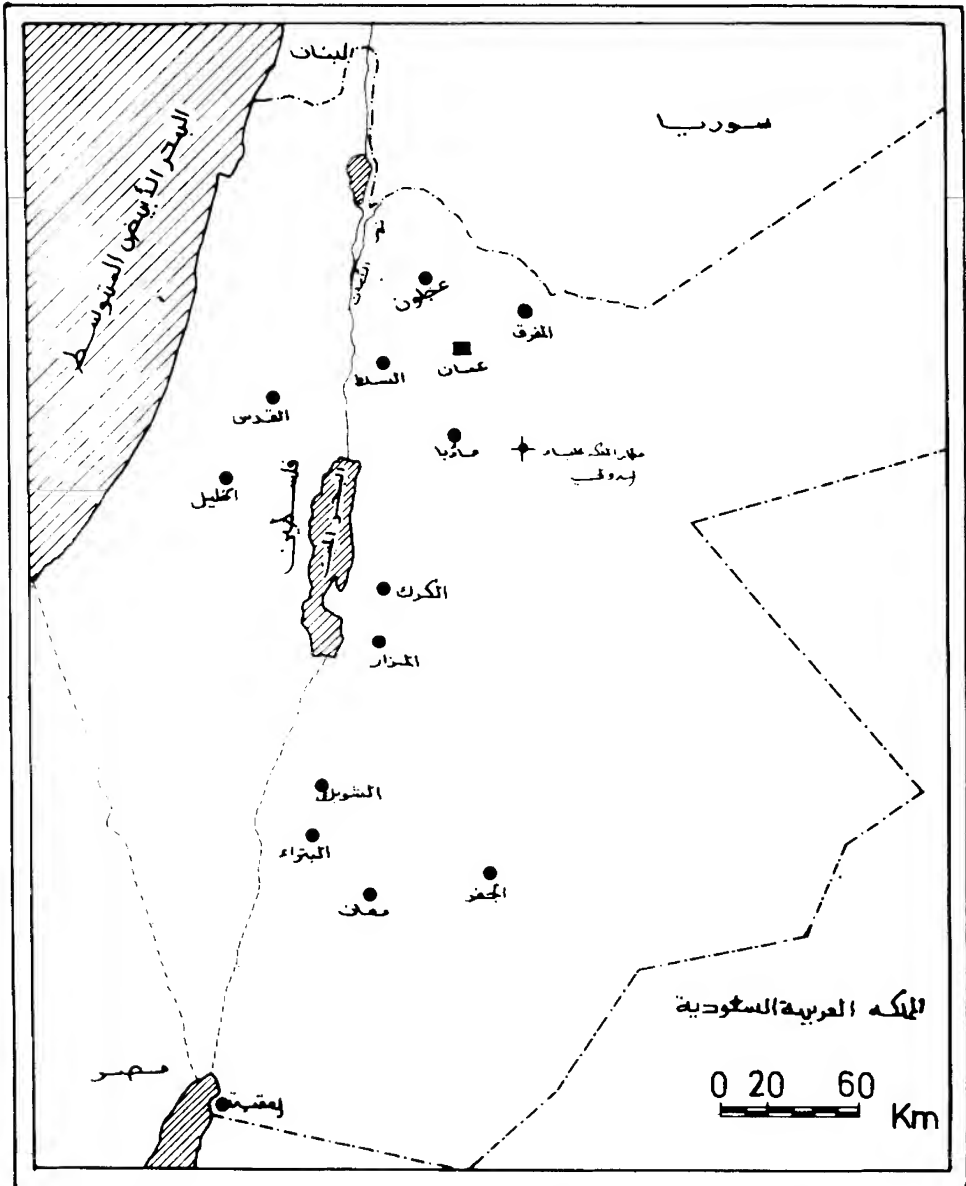
الإسلامية، مكتبة ممدوح، القاهرة، (١٩٩٣م)، ص ٦٣١. كمال الدين سامح، العمارة في صدر الإسلام، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، (١٩٧١م)، ص ١٥٨.

Michael Hamilton Burgoyne, Mamluk Jerusalem, London, (1987), Fig. 11.5.

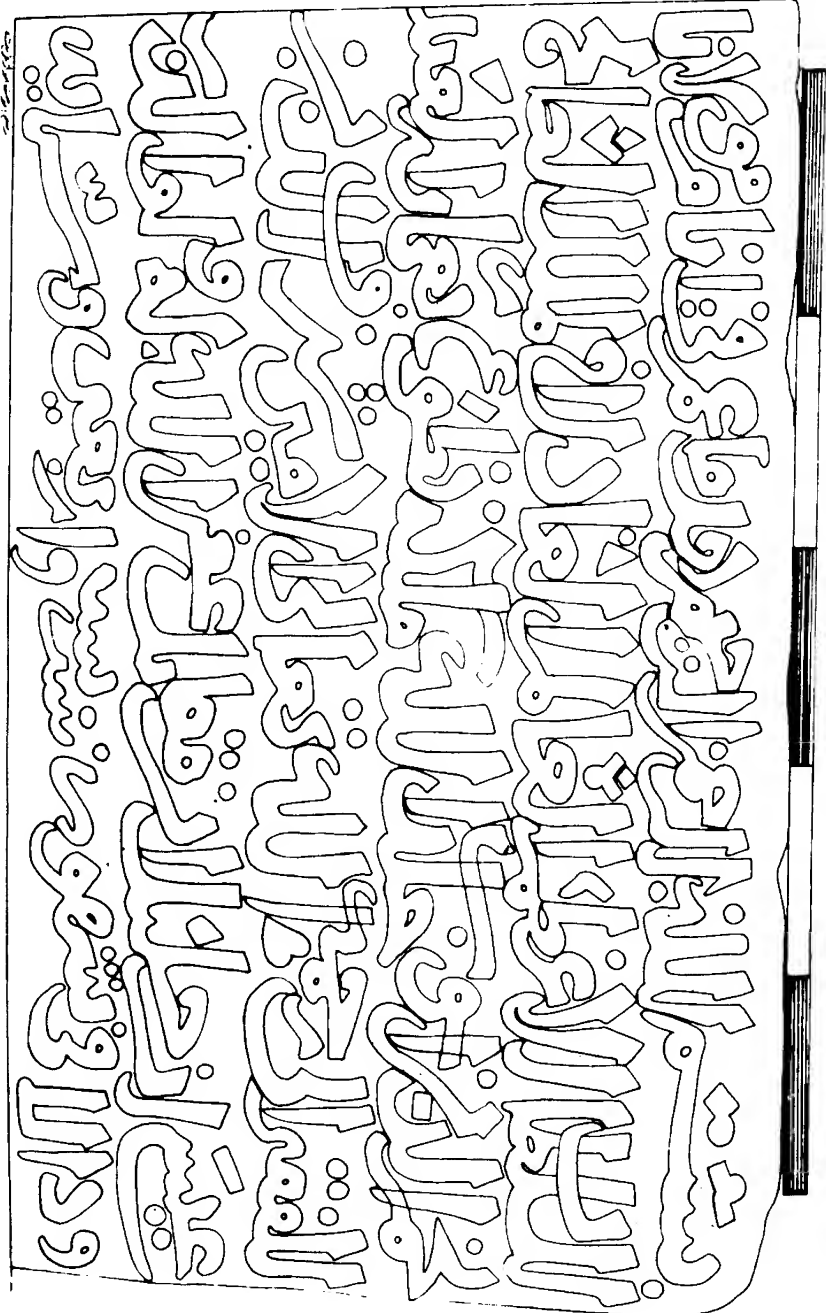
- ٣٤- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١، ص ٢٥٤.
- ٣٥- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ٣٠٢.
- ٣٦- محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٧٢م)، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، مجلد ١، دار الثقافة، بيروت (١٩٧٣م)، ص ٣٥. خير الدين الزركلي، الأعلام، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت، (١٩٧٩م)، ج ٧ ص ١١.
- ٣٧- المقرئ، السلوك، ج ١، ص ٨٥.
- ٣٨- الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل أبو الفداء (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، المختصر في تاريخ البشر، دار الكتاب اللبناني، دار البحار، (١٩٦٠-١٩٦١م)، ج ٤، ص ٥٧.
- ٣٩- سراج الدين عمر بن مظفر بن محمد بن الورد (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، تنمة المختصر، القاهرة، (١٢٨٥هـ)، ج ٢، ص ٢٥٧.
- ٤٠- التسمية افتراضية اعتمدت على الشكل الكتابي دون الرجوع إلى مرجع معين.
- ٤١- القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٢٤١.
- ٤٢- أنظر الحاشية رقم ٤٠.
- ٤٣- القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٤٣.
- ٤٤- راجع كامل العسلي، من آثارنا في بيت المقدس، عمان، (١٩٨٢م)، ص ٤٦.
- ٤٥- شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد المقدسي (ت ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، إبريل (١٩٠٩م)، ص ١٧٨.
- ٤٦- ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ٦٢٤.
- ٤٧- يوسف درويش غوانمة، تاريخ شرقي الأردن في عصر دولة المماليك الأولى، القسمين الحضاري والسياسي، عمان، (١٩٧٩م)، ص ٧٩.
- ٤٨- الباشا، الألقاب، ص ٤٩٧.
- ٤٩- الباشا، الألقاب، ص ٤٩٧-٤٩٨.
- ٥٠- أحمد فخري، رحلة أثرية إلى اليمن، تحقيق هنري رياض ويوسف عبدالله، الجمهورية اليمنية، (١٩٨٨م)، أسمهان سعيد الجرو، موجز التاريخ السياسي القديم لشبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)، مؤسسة حمادة، إربد، الأردن، (١٩٩٦)، ص ٩٢.

- ٥١- مایسة داود، الكتابات العربية، ص ٢٠١.
- ٥٢- شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي أبو شامة (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م)، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق محمد حلمي أحمد، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة (١٩٥٦-١٩٦٢م)، ج ١، ص ١٦١.
- ٥٣- المقرئزي، السلوك، ص ٣٦٩؛ الباشا، الألقاب، ص ٥٢٥.
- ٥٤- الباشا، الألقاب، ص ٤٨٩.
- ٥٥- القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٩٤.
- ٥٦- الباشا، الألقاب، ص ٤٩٣-٤٩٤.
- ٥٧- القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٦، ص ٢٠.
- ٥٨- الباشا، الألقاب، ص ١٠٨.
- ٥٩- نقلاً عن الباشا، الألقاب، ص ١١٢. Van Berchem, Corpus Egypte.
- ٦٠- الباشا، الألقاب، ص ١١٢.
- ٦١- الباشا، الألقاب، ص ٣٤١-٣٤٥.
- ٦٢- الباشا، الألقاب، ص ٣٤١-٣٤٥.
- ٦٣- الباشا، الألقاب، ص ١٠٩.
- ٦٤- الباشا، الفنون الإسلامية، ص ١٢٢٠.
- ٦٥- الباشا، الفنون الإسلامية، ص ١٢٢٢.
- ٦٦- الباشا، الفنون الإسلامية، ص ١٢٢٣.
- ٦٧- الباشا، الفنون الإسلامية، ص ١٢٣٠-١٢٣١.
- ٦٨- الباشا، الفنون الإسلامية، ص ١٢٥٤-١٢٥٥.
- ٦٩- الباشا، الألقاب، ص ٤٦٢.

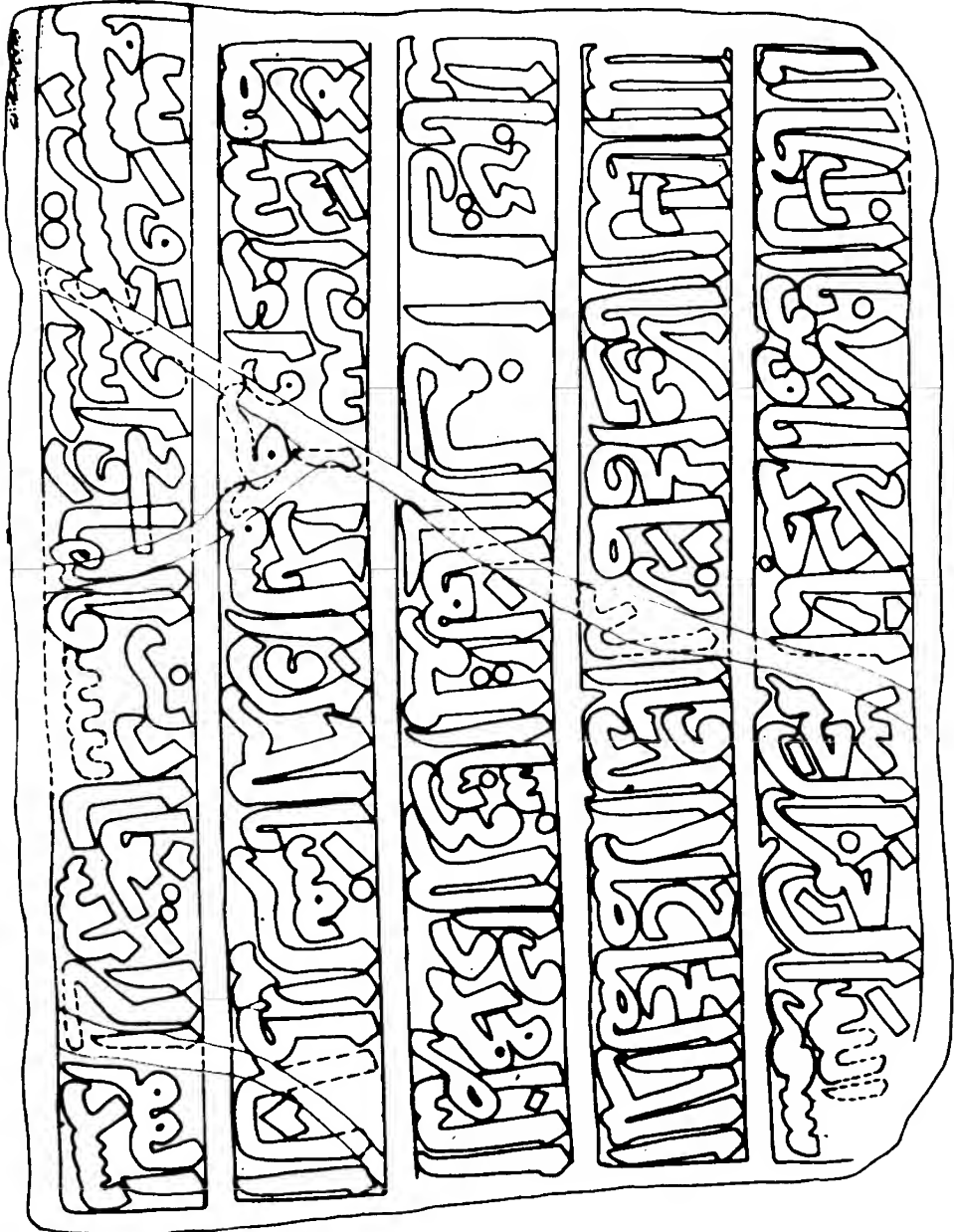
شكل رقم (١)



شكل رقم (٢)



شکل رقم (۳)



شكل رقم (٤)
جدول يبين اشكال الحروف في النقش الابوي

[illegible]

۳۰۰. بروسف اواز غزیت

شكل رقم (٥)
اشكال الحروف في النقش المملوكي

n	ن ز هـ ق ح د ل	~	و	و	و
h	هـ	ا	b	ب	ب
w	و	د	t	ت	ت
lā	لا	ل	q	ق	ق
ā	ا	ي	h	هـ	هـ
y	ي	ي	d	د	د
			d	د	د
			r	ر	ر
			s	س	س
			z	ز	ز
			s	س	س
			t	ت	ت
			c	ج	ج
			f	ف	ف
			q	ق	ق
			k	ك	ك
			L	ل	ل
			m	م	م

جم: يوسف المازني

صورة رقم (١)



صورة رقم (٢)

